بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أجل ؛ انها لصفحة شرف وفخار ، من تاريخ حافل مجيد .

تلك هى الصفحة التى كتبها اجدادنا الاكرمون بدمائهم الزكية ، على اديم الارض الصقلية ، وسجلوها بجلائل اعمالهم فى سفر الوجود ، و اقتحموا بها و بامثالها ابواب الخلود .

و يالها من ذكريات تثيرها فى نفوسنا تلك الصحف المطهرة ، صحف جهاد الاجداد فى سبيل الفتح الاسلامي ، و فى سبيل العمران والرقي ونشر المعرفة والمدنية الحقة .

انها لذكريات اجداد كرام بررة ، تركوا لنا راساً فى التاريخ عاليا ، و ذكرا فى الخافقين مجيدا ، انهم لقوم قهروا في سبيل الله وسبيل المدنية اشاوس الارض وطغام البحر ، وتغلبوا بقوة ايمانهم ومتانة سواعدهم وشدة شكيمتهم على كل معترض لهم في طريق حف بالصعاب ورص بالعقبات ، كان رائدهم يومئذ نكران الذات وتضحية النفس في سبيل المثل الاعلى ؛ على غرار سنة استنها لهم محمد بن عبد الله ، رسول الله ، وخلفاؤه من بعده ؛ فنالهم هنالك الاذى و اصابتهم فى طريقهم النكبات فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا ، و الله يحب الصابرين ؛ و ما بين مشرق الشمس و بين مغربها ، و ما بين جليد الشمال و سعير الجنوب ، رفعوا فوق هام البر و فوق عباب البحر اعلامهم عالية خفاقة ، مرعية الجوار عزيزة الجانب ، وضع النضال حول هامتها هالة من نور الحق و عزة الانتصار.

و اننا قوم الشمال الافريقي ، ابناء الاطلس الابرار ، لأحق باحياء هذه الصفحة الصقلية و بنفض ما تراكم من فوقها خلال عصور الانحطاط ، من غبار. ذلك لأنها صفحة خاصة باجدادنا فى هذا الشمال ، فهم الذين فتحوا هنالك ومدنوا و تغلبوا ، و هم الذين انخذلوا بعد ذلك تحت تاثير عوامل شتى ، وتحت ضربات اعداء الداخل والخارج ، فضاع عنهم ما فتحوه حسا و معنى بعد طول جلاد .

فعلينا — ونحن ابناؤهم — ان ندرس بورورا بهم ، تاريخهم فى حالتيه ، لنحيي ذكرهم ، وننصفهم حقهم ، ولنقيم لهم بأقلامنا وفي قلوبنا ، تمثالا خالدا هو عنوان الاجلال والاعتراف بالجميل ، ثم لنستخرج من كل ذلك عظات وعبرا تنير امامنا جادة السير فى طريق الحياة الحقة حياة العمل والجد والسعادة وتحقيق الآمال .

انما هذه الصفحة الطيبة الثرية ، صفحة التاريخ الاسلامي بصقلية لم تكتب بعد ، ولم يقيض الله لها من يفردها بدراسة قيمة ، كما درست من قبل فتوحات المسلمين فى سائر الاقطار ، فنحن لا نجد من اخبار صقلية الاسلامية الا ما تناثر فى كتب التاريخ بين عربية وغربية وخاصة في كتب ابن خلدون وابن الاثير وابن الخطيب وابن جبير ، وبعض امهات الكتب الاخرى ، على ان تلك الاخبار المقتضبة التي كانت تذكر استطرادا ، لم تكن تهتم الا بكبريات الحوادث الحربية ، و تاريخ تولى الولاة ووفياتهم على اضطراب بينهم فى الترتيب . و قل من المؤرخين من تعرض لآثار ذلك الفتح ، وما كان له من ضلع كبير فى اشراق انوار المدنية والمعرفة على ربوع اوروبا ؛ وبعبارة اصرح ، مدى مشاركة المسلمين الصقليين فى بناء هيكل المدنية الحاضرة ؛ فيكاد يخيل اليك وانت تتلو كتب التاريخ القديمة ان مقام المسلمين بصقلية ما كان الا سلسلة من حروب وفتن واضطرابات ، وانه لم يكن وراء تلك الحروب و الفتن سوى دماء تسفك ، ومعالم تخرب ، وحرمات تنتهك ؛

وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا، علينا ان نتداركها ، وعلينا ان نسد هذه الثلمة فى هيكل تاريخنا القومي .

نعم ا يجمل بهذه المناسبة ، و في هذا الميدان ان نذكر وان نعترف بجميل عالمين جليلين ، ومؤرخين مبجلين اولهما السنيور ميكايل عمارى (١) وقد نشر سنة

---

(١) هو صاحب السيف والقلم وبطل العلم والسياسة واحد كبار المجاهدين فى سبيل الامة والوطن ، والدرة اللماعة فى تاريخ الاستشراق العربي على الاطلاق ؛ ولد في مدينة بالرمة سنة ١٧٠٦ من عائلة ربما كانت تنحدر من اصل عربي حسبما يدل عليه اسمها ، وحسبما يدل عليه اتجاه هذا البطل العظيم من احياء تاريخ المسلمين بصقلية ، وجمع آثارهم و الاشادة بما كان لهم من فضل على العلم والمدنية بحيث انه قد عمل وحده فى هذا المضمار ما تنوء تحت وقره العصبة القوية من العاملين .

ولقد شب في بيت ثائر ، اذ كان أبوه من رجال الحركة الوطنية الاستقلالية بصقلية ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين سنة ؛ فكان ميكايل متشبعا منذ نشأته بتلك الافكار لكنه اندفع فى ميدان العلم فحذق العربية ، مدفوعا لذلك بعاطفة غريزية ولا ريب ، واخذ منذ شبابه يدرس تاريخ المسلمين ؛ وعندما حدثت الثورة فى سبيل الحرية سنة ١٨٤٨ اندفع صاحبنا فى مضمارها وخاض غمارها ، وسمي نائبا عن وطنه فى مجلس الامة ؛ ثم استولى وزارة المالية حيث جاهد جهاد الابطال فى سبيل الشعب والمستضعفين ؛ ثم ترك السياسة واعتكف على الدراسة والانتاج الخصب لكن ثورة غاريبا لدي عام ١٨٦٠ اخرجته من جديد لعالم السياسة والجهاد فشارك في الثورة مشاركة محسوسة ، واصبح بعد نجاحها مدير المعارف بمدينة بالرمة ثم وزير المعارف للدولة الطليانية الموحدة سنة ١٨٦٢ .

ثم اعتزل السياسة من جديد ، واخذ يدرس العربية فى جامعة فلورنسا ؛

١٨٥٨ كتابه الحافل ﴿ المكتبة العربية الصقلية ﴾ وقد جمع فيه اغلب ما تناثر في كتب العرب من اخبار صقلية والصقليين ، ايام دولة المسلمين ؛ والف كتابا حافلا باللغة الطليانية ﴿ تاريخ العرب بصقلية ﴾ في خمسة اجزاء ضخمة .

وثانيهما صديقي الكبير و استاذي الجليل ، امير الامراء حسن حسني عبد الوهاب ، مدرس التاريخ بالخلدونية سابقا ، ووزير الدولة التونسية اليوم ؛ حيث قدم لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بمدينة الجزائر سنة ١٩٠٥ رسالة قيمة باللغة الفرنسية (١) عن مسلمي صقلية وما كان لهم من اثر محمود في ميادين العلم والمدنية .

وتراس بتلك المدينة مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٧٦ ، واستمر عاملا جاداً في سبيل العربية والتاريخ الاسلامي الصحيح الى أن توفى بفلورانسا سنة ١٨٨٩ ، ومن اهم مآثره ﴿ تاريخ المسلمين في صقلية ﴾ في خمسة اجزاء ضخمة ، نشره سنة ١٨٥٤ ، واعيد طبعه من تعليقات مفيدة و كتاب ﴿ المكتبة العربية الصقلية ﴾ جمع فيه اهم ما كتبه المؤلفون المسلمون عن صقلية ، و كتاب ﴿ الآثار العربية المنقوشة على الحجارة بصقلية ﴾ و كتاب ﴿ مذكرة عن حوادث التاريخ في القرآن الكريم ﴾ وترجم للطليانية كتاب سلوان المطاع لابن ظفر ؛ ورحلة ابن جبير بصقلية .

و قد اقام المستشرقون حفلا رائعا بمناسبة مرور مائة عام على ولادته ؛ وبتلك المناسبة نشر استاذنا حسن حسني القسم المتعلق بصقلية وافريقيا من ﴿ اعمال الاعلام ﴾

واني لأعتقد انه لا يتسنى للعرب الاطلاع على حقائق ودقائق تاريخ مسلمي صقلية ما لم يقيض الله من بينهم من يترجم للغة الضاد كتاب عماري الحافل الثري « تاريخ المسلمين في صقلية » فهل من مجيب ؟

(1) La domination musulmane en Sicile

ثم نشر حفظه الله بمدينة بالرمة سنة ١٩١٠ القسم المتعلق بالشمال الافريقي و جزيرة صقلية من كتاب اعمال الاعلام ، لابن الخطيب ، مع هوامش مفيدة باللغة الفرنسية متدار كا بذلك ما سها العلامة ميكايل عمارى الآنف الذكر عن حشره ضمن ﴿ المكتبة العربية الصقلية ﴾

**

ولقد كان اهتمامي بموضوع التاريخ الاسلامي بصقلية قديما ، و كانت ولا تزال رغبتي فى اختراق مجاهله اكيدة ؛ فنشرت فى الجزء الرابع من كتابي تقويم المنصور سنة ١٩٢٦ بحثا وجيزا عن تلك الحقبة من التاريخ ، ولربما كنت قد وفقت يومئذ بعض التوفيق ، فى تعبيد ذلك الطريق .

وانني لأعود اليوم الى هذا الموضوع ، مقدما بين يدي الامجاد ، قوم الشمال الافريقي ما اوصلني اليه جهد البحث والاستقراء عن تاريخ صقلية الاسلامية متوسعا فى ذلك ، حسبما امكنني ان اتحصل عليه من مختلف الوثائق والمعلومات وبين طيات ما وصلت اليه من كتب عربية وافرنجية ؛ مثبتا على هامش ذلك ، حسب طريقتي ؛ اهم الاحداث الكبرى ، بالشرق وبالغرب ، حتى يمكن لقارئى كتابي ان يخرج بالتاريخ المحلي عن عزلته ، ويربط الحوادث الصقلية في مختلف ادوارها بمجرى التاريخ العالمي .

لكنني — والحمد لله — بعيد عن الغرور و كاذب الادعاء ؛ فاقول بكل صراحة ، ان كتابي هذا لايجب ان يعتبر الا تمهيداً لدراسة تاريخ المسلمين فى صقلية ؛ فان كنت قد علمت شيئا وسجلته ، فقد غابت عني ولا ريب اشياء ؛ وان كنت قد ادليت خلال هذه الدراسة التاريخية ببعض آراء وافكار ، فما انا بمقدمها الا لكي تعرض على مجال البحث والمناظرة ، حتى يظهر من الحقائق التاريخية ما اخفته دفات الكتب ، او طمست معالمه حوادث الايام .

بل انني ازيد غلواً فى الصراحة ، فاقول للعلماء و الكتاب و المؤرخين من بني قومي ، انني ما اقدمت على وضع كتابي هذا ، ونشره ، وعرضه على النقادين ، الا لكي استفز منهم المشاعر ، واستحث فيهم الهمم ، علهم يندفعون بهمة وعزيمة و بما آتاهم الله من علم ، فى هذا الباب ، فيتدار كون النقص ويأتون بفصل الخطاب تلك هي غايتي ، وهاتيك هي مناي .

وانني لأبتهل الى الله ، ان يلهمنا الحق والصدق والصواب ، ويهدينا سواء السبيل ، حتى نخدم تاريخنا الخدمة المثلى ؛ فنخلد بذلك ذكرى اجدادنا ، ونقدم الامانة سليمة لأحفادنا .

وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، واليه انيب .

الجزائر — ١٢ ربيع الانور ١٣٦٥